فقط في الريف الغربي للعاصمة بل الريف الدمشقي عموماً. ومن الواضح ان الدولة قد حسمت امرها في هذه المعركة القريبة للتخلّص من المسلحين في الريف الغربي.
أما عن طبيعة هذه المعركة ميدانياً، فيقول المصدر انها «لن تكون صعبة على الاطلاق». ومن أبرز النقاط الايجابية التي تصبّ في مصلحة النظام، مقابل الخسائر المتتالية لقوى المعارضة، هي ان «الدولة تعرّفت على الاساليب والوسائل التي يستخدمها المسلّحين. مسألة هذه القرى هي أيام لا أكثر، مثل العقيلة والحسينية والذيابية والبويضة. هذه المناطق كافة كانت تعتمد على مقاتلين من الحجر الاسود، لكن في المعارك الاخيرة، لم تتم تلبية اي نداء استغاثة بسبب التشتّت والخيانة في صفوفهم»، بحسب المصدر نفسه، الذي يختم بأن هناك «استراتيجية معينة وفهما كبيرا لعقل العدو الامني، خصوصاً بعد التوغّل العميق داخل صفوف المعارضة وعلى مستوى القيادات».

موسم العنب في السويداء ليس بخير

تعتمد محافظة السويداء بشكل كبير على الزراعة، فهي تشتهر بأنواع المحاصيل الجبلية المناسبة لطبيعتها، والتي تشكّل سلة غذائية مهمة لا يمكن الاستغناء عنها، خاصة في الظروف الراهنة

علاء غرز الدين

يصل إجمالي المساحات المزروعة بأشجار الكرمة في محافظة السويداء إلى 9601 هكتار، ويبلغ عدد الأشجار الكلي فيها 4,361 ملايين شجرة، أشهر أصنافها السلطي بأنواعه والبلدي والحلواني والأسود.
لكن هذه الزراعة تراجعت بسبب الخسائر التي يتعرض لها المزارع، والتي تمثلت بتدني سعر المادة الانتاجية، إضافة الى عامل الجفاف في بعض مناطق زراعتها وضعف قنوات التصريف. ففيما كانت المساحة المزروعة منها ما يقارب الـ 11 ألف هكتار في عام 2006، اضطر المزارع لاستبدال شجرة العنب بشجرة التفاح، ذات السعر المرتفع نسبة إلى سعر العنب.
يخوض المزارع حروباً تسويقية مع التجّار ليبيع ما قلّ من محصوله بأسعار مختلفة بحسب مزاج التاجر، فقد تصل الاسعار في أفضل الاحيان بالنسبة للفلاح الى 30 ليرة سورية ثمن الكيلو الواحد، ليباع من التاجر للمستهلك بأكثر من 70 ليرة. ورغم هذا الاستغلال، تمثّل هذه الشجرة أفضل الفرص المتاحة للفلاح، لأنه بمجرد أن يحين الحصاد المكثّف للعنب يلجأ مضطراً إلى معمل التقطير ليبيع محصوله بأسعار رمزية... ويمثّل معمل التقطير في السويداء المنفذ الوحيد للمزارع لتصريف منتج العنب وصمام الأمان، بعد السوق المباشر.
حدّدت الشركة العامة لتصنيع العنب في السويداء سعر شرائها لمادة العنب بـ15 ليرة للأبيض و17 ليرة للأسود بزيادة ليرتين عن السنة الماضية، بينما . بحسب تقديرات مديرية الزراعة في السويداء المنشورة في الموقع الرسمي لوزارة الزراعة . سعر تكلفة إنتاج الكيلوغرام الواحد من محصول العنب بالنسبة للمزارعين وفقاً للدراسة الفنية التي أُعدّت، تبلغ 29,60 ليرة، ما يعني خسارة الفلاح الفقير 13,60 ليرة بالكيلو الواحد وسطياً.
لم يقف الأمر عند هذا الحد؛ فبوصف بعض الفلاحين، «إن روتين نقل المحصول إلى المعمل يسبّب تلف نسبة كبيرة منه بسبب تعرّضه للعفونة، جرّاء نقله في العراء بسبب ازدحام الطلب على جرارات النقل، ما يؤدي إلى فساد المحصول، وبالتالي حسم ادارة المعمل 2 في المئة على قيمة العنب الرديء، فضلاً عن دفع أجرة مضاعفة لوسائل النقل».

> يخوض المزارع حروباً تسويقية مع التجار ليبيع ما قل من محصوله
>
> تشتهر محافظة السويداء بالعديد من الصناعات الغذائية التقليدية المحلية

وتتصدر أسباب ضعف تسويق الإنتاج في هذه الأيام بحسب التقرير الصادر عن معمل تقطير العنب في السويداء، مشكلة النقل بين المحافظات، إضافة إلى عدم توافر مادتي الكرتون والزجاج.
يُقدّر الإنتاج الوسطي للمحافظة من العنب بـ 36 ألف طن، وقد أعلنت الشركة السورية لتصنيع العنب قدرتها على استيعاب 16 ألف طن، باستيعاب يومي لـ 300 طن. وبحسب مدير الشركة، «إن اعتمادات الشركة للعام الحالي تبلغ 240 مليون ليرة، وعلى هذا الأساس تم تسعير الكيلو الواحد، فكثرت المطالبة بزيادة اعتمادات الشركة حتى يتناسب سعر شراء الكيلو مع تكلفته، ولكي لا يكون الفلاح ضحية للبيروقراطية».
تشتهر محافظة السويداء بالعديد من الصناعات الغذائية التقليدية المحلية، ومن أهمها صناعة «الدبس». فقد بلغ عدد معاصر الدبس في المحافظة 23 معصرة، يُقدّر إنتاجها بـ 430 طن دبس ناتجة من عصر 2050 طناً من العنب. حيث يُستقبَل العنب من المزارعين ويُحوّل لمصلحهم إلى دبس مقابل مبلغ مادي معين أو يأخذ صاحب المعصرة نسبة من الدبس الناتج.
وتفتقر هذه الصناعة إلى مقومات التطوير ورفع جودة المنتج نتيجة قلة الاهتمام بها وعدم دعمها، فأسلوب العمل الجاري في معظم المعاصر أدى إلى انخفاض الإنتاجية بسبب اتباع الطرق البدائية، إضافة إلى مسألة التسويق التي تحدّ من عملية التوسع في الإنتاج، وعدم وصول الكهرباء إلى هذه المعاصر لكونها خارج المنطقة المنظّمة.
ويبين المسؤولون في مديرية الزراعة في المنطقة، أن لدبس العنب دوراً كبيراً في حل جزء من المشكلة الأهم في زراعة العنب في المحافظة، ودعوا الجهات المختصّة إلى تسهيل إجراءات الترخيص والإعفاء من كافة الرسوم لهذه الصناعة، بحيث تشجّع المزارع وأصحاب المعاصر على طرح منتجهم في السوق بنحو لائق وبعبوات ذات أحجام تتناسب مع إمكانية المستهلك وذوقه، وذلك بدلاً من بيعه في صفائح من التنك ذات سعة 25 كغ، وتوفير خط للتسويق الخارجي، وإنشاء معاصر للدبس ذات خطوط إنتاجية متطورة قادرة على استيعاب المحصول.

يرة

الصف الواحد إلى 60 طالباً، كيف لنا أن نستوعب الدروس؟ هذا عدا عن كثرة عدد الحصص الفارغة، بسبب التغيّب المتكرر لبعض المدرّسين القاطنين في مناطق التوتر»، تقول الطالبة رهام شقير.
لا تبدو الصورة مختلفة كثيراً، من حيث الشكل، عن الريف الشمالي للعاصمة. ففي حيّ القابون، الذي لا تقلُّ معاركه وطأة عن معارك داريا، تتفاقم معاناة بعض العائلات التي بقيت على حدوده مع شارع فارس الخوري. هؤلاء مجبرون على التعامل يومياً مع كلا الطرفين. تقول إحدى السيدات الموظفات في المؤسسة العامة للتأمين والمعاشات في دمشق، فضّلت عدم الكشف عن اسمها: «قبل خروجي من بيتي، أفكر ملياً كيف سأتلافى خطر المسلحين المتشددين في الحي. هؤلاء يضيّقون علينا بشكل قاتل، خصوصاً إن كانت المرأة غير محجبة أو لا ترتدي العباءة، السوداء حصراً».
تصمت قليلاً لتستدرك: «وليست معاملة الحواجز الأمنية بأفضل. أكثر من مرة احتجزوا ابني الوحيد لمجرد أنه من القابون، لتنشغل العائلة كلها بالبحث عنه. على كل حال لسنا الوحيدين، فالكثير من سكان المناطق الملتهبة لم تساعدهم الظروف ليتمكنوا من النزوح». وقد تعلّم بعض سكان القابون كيف يتدبرون أمورهم، جملٌ مثل «كيف الشباب؟» و«يعطيكن العافية» أو «الله ينصركم» كفيلة بأن تبعدك عن المشاكل التي قد تواجهك على الحواجز التابعة للطرفين. يروي أحدهم كيف قدَّم صحن حلويات إلى «اللجان الشعبية»، وآخر إلى حاجز «الجيش الحر»، عندما «أخطأ» وقرّر أن يسهر مع عائلته.
والجدير بالذكر، أن غالبية المؤسسات العامة قد خففت، تدريجاً، تشديدها على الموظفين، من سكان تلك المناطق، تفهماً لظروفهم، إلا أن عدم وجود صيغة محددة لهذا التفهم يفتح المجال لأمزجة المديرين في كل مؤسسة، إذ قام بعضهم بالحسم من رواتب موظفين تخلفوا عن العمل، رغم علم هؤلاء المديرين بقطع الطرقات نتيجة المعارك، والحجة المكررة «هذا قانون، وأنا كمدير لا أستطيع أن أخالفه أبداً». يختزل أحد الموظفين المشهد كاملاً بقوله: «تنتهي من عبء المسلحين، يأتيك عبء الحواجز الأمنية والطريق الطويل واضطرارك إلى المشي طويلاً نتيجة قطع الطرقات أحياناً. تنتهي من هذا كله، تخرج إليك بيروقراطية المديرين أصحاب السيارات الفخمة».
يبدو أن إيجاد حل جزئي يعالج المعاناة التي يتكبدها سكان هذه المناطق صعب للغاية، نتيجة التعقيد الحاصل في أزمتهم، حيث بات أملهم الوحيد معقوداً على إيجاد حل سياسي جذري وشامل، قد يفتح الباب أمامهم للعودة إلى حياتهم الطبيعية المفقودة منذ بداية الأزمة.

«قبل خروجي من بيتي، أفكر ملياً كيف سأتلافى خطر المسلحين في الحي» (أ ف ب)